

واهتمامات كل جنس ضمن اوضاع مختلفة نسبيا .

موضوعات رسوم اطفال النازحين

يذكر صادق جلال العظم في أول مقالة تعرف رسوم اطفال النازحين للجهور ، الملاحظة التالية : « ... نحن نتوقع في العادة ان تدور رسوم الاطفال حول موضوعات بريئة مبتسمة مبهجة ، تنصف بالهدوء والدعة والسذاجة وليس بالطابع المحمي ، غير ان الطفل الفلسطيني في المخيم ليس طفلا عاديا ، وتجربته القاسية المرة جعلت من رسومه حالة فريدة في نوعها تقريبا ، ان كان ذلك بالنسبة لطاقتها الثورية الكامنة ، او لسليباتها الكابتة لهذه الطاقات والمشتتة لها .. » (٣٧).

ترتبط هذه الملاحظة ، او هذا التقرير لدلالات هذه الرسوم ، بشهادة الشاعر الفلسطيني محمود درويش عن طفولته « .. وحين صحا ذلك الطفل المعزق الثياب من التعمب والرهبة ، كان رأسه يزدهم بالاسئلة التي هاجمته دفعة واحدة وبلا تسلسل ، ومنذ تلك الليلة انقلبت الصفة الخاصة لعالم الطفولة ، وأصبح ذلك الطفل محروما من الاشياء واللغة التي تميزه عن الكبار .. » (٣٨). اذ تبدو رسوم اطفال البقعة كصدى وترداد لاصوات طفولة النزوح الاول التي لم تستنطق بالالوان والورق ، مع ذلك فهي قد اختلفت واتحدت مع طفولة ١٩٤٨ عبر ذات المناسبات . « ... ان طفولتي هي بداية مأساتي الخاصة ، التي ولدت مع بداية مأساة شعب كامل ، لقد وضعت هذه الطفولة في النار ، في الخيبة ، في المنفى ، مرة واحدة وبلا مبرر تتمكن من استيعابه ، ووجدت نفسها فجأة تعامل معاملة الرجال ذوي القدرة على التحمل ، ولا تستثنى من مصيرهم ... » . « ... كنت ادخل عالم قضايا جديدة » يقول درويش ايضا « والتصق بها رغبا عني ، مبتعدا بوتيرة سريعة عن عالم الطفولة ، اذا كان يعني ما يحظى به الطفل من تفوق وتميز ... » (٣٩).

لعلنا لن نكون بحاجة الى جهد كبير ، لكي نتبين التسميات المشتركة التي توحد ما بين رسوم الاطفال و« شهادات » محمود درويش الواعية عن طفولته ، لذلك سوف نبحث في الصورة الاصلية ، هي هذه الرسوم ، كي تمثل صورة الحياة القائمة في المخيم ، الذكرى الطازجة للحرب ، الانشداد العميق نحو البيئة الاصلية ، نحو الوطن ، التجربة والمشاهدة

بالمهار فكرة معينة في الرسم ومعالجة مواضيع واقعية ، كما تظهر محاولات لتمثيل النسب الطبيعية في الرسم ، واستخدام بعددين او ثلاثة ابعاد ، وحل مشاكل الفراغ ، والتمثيل المكاني والزمني للرسم بصورة واقعية . وغالبا ما تحاول رسوم الاطفال في هذه المرحلة ان تقول شيئا ، او تعبر عن فكرة او تروي قصة ، ويكاد يكون الانسان الموضوع الاول في رسوم اطفال البقعة ، فيتناولونه بالمعالجة ، مع مزيد من التحديد والتفصيل ، محاولين مضاهاة الشكل البشري في الطبيعة . كما تنسحب بعض الظواهر التي يلجأ اليها الاطفال في سن ابكر ، مثل المبالغة والتسطيح واختلاط الامكنة والازمنة في معالجاتهم ورسومهم ، ويحل محلها رؤية واقعية بصرية . كما يبيل الاطفال في هذه المرحلة الى تمثيل الاثران كما هي موجودة في الطبيعة . غير انه يلاحظ ، بشكل عام ، ان رسوم هذه المرحلة قد فقدت الكثير من تلقائيتها وهبطت ابداعيا واخذت تقرب من المحاكاة الطبيعية . كما ان النمو العام عند الطفل — ذهنيا وفسولوجيا ونفسيا — تدفع به نحو عالم الكبار ، ونحو قوانينهم ، التي لا تلبث ان تحل مكان « القوانين » الفطرية ، ومكان الملامات الشكلية لرسوم الاطفال ، وهو الامر الذي يفقدها عفويتها ورقتها المعهودة . ومن جهة اخرى تظهر في هذه المرحلة فروق لا يستهان بها بين رسوم الذكور والاناث من الاطفال ، حيث يتعمق احساس كل من الجنسين بعالمه واهتماماته ومثله المميزة .

د - سن الثانية عشرة الى الرابعة عشرة : وفي هذه المرحلة تتبلور الظواهر الملحوظة في رسوم الاطفال في المرحلة السابقة ، حيث يكون قد ظهر مزيد من النضج الذهني في محاولات تصوير البيئة بأسلوب واقعي وسمي ، وتقليد الطبيعة من خلال استخدام المنظور ومحاولات الطفل في الظل والاضاءة ، وحل مسائل الفراغ ، والاتجاه الى توظيف اللون موضوعيا ، اي ان هذه الرسوم قد اخذت تمثلا لتقاليد الكبار الفنية في التصوير . ومن ثم فان هذه الرسوم تفقد مزيدا من تلقائيتها وعفويتها الفنية مع انصرافها بصورة متزايدة نحو موضوع او موضوعات ذات صبغة واقعية . وتظهر الاختلافات بين رسوم الاطفال الذكور عن رسوم الاطفال الاناث سواء من حيث المواضيع ، او حيث المعالجة الشكلية ، ويعود هذا الى تبلور وهي